

دور القنصلية البريطانية في القدس في تعزيز الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين منذ سنة 1922-1838

The role of the British Consulate in Jerusalem in promoting Jewish immigration and settlement in Palestine 1838-1922

د. محمد فارس جرادات¹، كلية الدراسات العليا قسم دكتوراه التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

mfbj952662815@gmail.com

د. عدنان ملح، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، melhem.1961@yahoo.com

تاريخ النشر: 2025/07/31

تاريخ القبول: 2025/04/04

تاريخ الاستلام: 2025/01/25

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تبين الدور الذي لعبته القنصلية البريطانية في القدس، غداة افتتاحها سنة 1838، في رعاية الهجرة والاستيطان الصهيوني في فلسطين، ضمن خلفية دينية بروتستانتية وأطماع استعمارية بريطانية، وقد جاء هذا الدور على الصعيد الدعائي في الترويج لهذا الاستيطان، ومن ثم توفير الدعم العملي له عبر تسهيل الهجرة اليهودية وشراء الأراضي وتدعيم أسس العمل اليهودي.

توصل البحث أن دور القناصل البريطانيين في القدس، كان دوراً محورياً طوال سبعين سنة، حتى الاحتلال البريطاني لفلسطين 1917، خاصة القنصل الثاني المسترفين، كانت خلالها هذه القنصلية ترعى اليهود بغض النظر عن جنسياتهم، وتحيطهم بكل أنواع الحماية مستغلة قوانين الامتيازات الأجنبية التي سبق أن أصدرتها الدولة العثمانية، وعبر التحايل على المسؤولين العثمانيين، واستخدام الرشوة والعلاقات والضغط السياسي.

الكلمات المفتاحية: القنصلية؛ الهجرة والاستيطان؛ جيمس فين.

Abstract:

This research aims to identify the role played by the British Consulate in Jerusalem, the day after its opening in 1838, in sponsoring immigration and Zionist settlement in Palestine, within a Protestant religious background and British colonial ambitions. This role came at the propaganda level in promoting this settlement, and then providing support. It is practical by facilitating Jewish immigration, purchasing land, and strengthening the foundations of Jewish work.

The research found that the role of the British consuls in Jerusalem was pivotal for seventy years, until the British occupation of Palestine in 1917, especially the second consul, Mr. Finn, during which this consulate looked after the Jews, regardless of their nationalities, and surrounded them with all kinds of protection, taking advantage of the laws of foreign privileges that had previously been imposed. It was issued by the Ottoman Empire, by deceiving Ottoman officials, and using bribery, relations, and political pressure.

Keywords: Consulate; immigration and settlement; James Finn.

¹ المؤلف المرسل : د. محمد فارس جرادات ، mfbj952662815@gmail.com

مقدمة:

لعبت القنصلية البريطانية في القدس غداة افتتاحها، دوراً محورياً في دعم الهجرة اليهودية والاستيطان الصهيوني في فلسطين، وكان افتتاح هذه القنصلية ابتداء استجابة للأطماع البريطانية في رعاية مصالحها الاستعمارية الاستراتيجية، وقد أدخلت المسألة اليهودية في المسألة الشرقية ضمن بواغث دينية بروتستانتية، لتؤسس لليهود وطناً قومياً على أطلال الشعب الفلسطيني.

أسئلة الدراسة: حاولت الدراسة أن تجيب على جملة من الأسئلة التاريخية بأثرها الراهن في واقع قضية تتجدد مفاعيلها السياسية ومظلوميتها الإنسانية؛ لماذا أعطت بريطانيا هذه الخصوصية للمسألة اليهودية؟ وكيف نجحت عبر قنصليتها في القدس في تحويل هذه المسألة لصالح المشروع الصهيوني؟ وكيف كان للدعاية الترويجية للصهيونية عبر القنصلية أثرها المباشر في نجاحها؟ وما هي أبرز الخدمات الفعلية للقنصلية في دعم الهجرة والاستيطان الصهيوني؟

محتويات الدراسة: تناولت الدراسة الخلفية الدينية والسياسية للدور البريطاني في دعم الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين، وقد جاء عنوانها الأول في محورين، الأول: البروتستانتية والتنافس الاستعماري، حيث وفر تحول بريطانيا للمذهب البروتستانتي، البيئة الحاضنة للصهيونية، وهو الذي أعطى الاعتبار الديني للتوراة باعتبارها العهد القديم، فيما عالج المحور الثاني جدلية: المصالح السياسية البريطانية والمسألة اليهودية، كحافز في تأسيس القنصلية، ليخلص لعدم التناقض بين الأمرين، فكل منهما عزز الآخر.

وجاء العنوان الثاني للدراسة، ليسلط الضوء على الجهد الدعائي والعملي للقنصلية البريطانية في القدس في رعاية الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين، وقد جاء ضمن ثلاث محاور، أولها توقف عند دور القنصلية البريطانية في الترويج الديني والثقافي للمشروع الصهيوني، خاصة يوميات القنصل جيمس فين، والتي تم نشرها من خلال زوجته وهي مبشرة بروتستانتية، لتشكل مادة دعائية للفكر الصهيوني، فيما جاء المحور الثاني ليتتبع الدور العملي للقنصلية البريطانية في رعاية الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين، وهو دور حيوي تبجح به القنصل فين وأخلصت له القنصلية طوال سبعة عقود حتى إغلاقها، أما المحور الأخير فقد عالج دور إدارة الاحتلال البريطاني في دعم المشروع الصهيوني بعد إغلاق القنصلية البريطانية (2014-2022) عبر الإدارة العسكرية التي أقامت دوائر وسنت قوانين مهدت للأرضية الكاملة للمهاجرين اليهود ليستوطنوا مساحات واسعة من أرض فلسطين.

وقد خلصت الدراسة لمحورية الدور الذي لعبته القنصلية البريطانية في القدس، في الترويج للفكر الصهيوني وفي الدعم الفعلي الحيوي للمهاجرين اليهود خاصة الأشكناز منهم، وفي استيطانهم في أرض فلسطين، وعندما تم إغلاق القنصلية بعد الاحتلال البريطاني لفلسطين، تولت الإدارة العسكرية ثم الانتداب تنفيذ الوقائع التي أفرزتها القنصلية.

منهجية الدراسة: اتبعت الدراسة في تناولها لدور القنصلية البريطانية في رعاية الهجرة والاستيطان الصهيوني؛ الأسلوب التاريخي التحليلي مع التاريخي الوصفي، ما يساعد على استقصار المعلومات التاريخية ذات الصلة، وتحليل المعطيات الواردة للخروج بالحقيقة التاريخية في الدور الفاعل الذي لعبته القنصلية البريطانية في توطيد دعائم المشروع الصهيوني في فلسطين.

أهمية الدراسة: تصدت الدراسة لقضية حيوية في المشروع الصهيوني، عندما تولت القنصلية البريطانية في القدس مهمة دعم الهجرة والاستيطان الصهيوني في فلسطين، رغم أن عدد من الدراسات سبق أن تناولت هذا الدور لكن لم يتجاوز ذلك تناوله في سياقات عامة غير متخصصة بذات دور القنصلية خاصة في مساري الترويج الفكري للصهيونية، والخدمات العملية المباشرة.

أهداف الدراسة: هدفت هذه الدراسة لتسليط الضوء على فاعلية الدور الذي تولته القنصلية البريطانية في القدس، في دعم الهجرة والاستيطان الصهيوني في فلسطين، عندما احتضنت هذه القنصلية اليهود بغض النظر عن جنسياتهم، وكان قلة منهم يجمع الجنسية البريطانية، وتهدف هذه الدراسة أيضاً لتحليل الأسباب الحقيقية لافتتاح القنصلية في السياق الاستعماري والديني عبر تداخل عميق بينهما.

مشكلة الدراسة: تكمن مشكلة هذه الدراسة في إزالة الالتباس، بين طبيعة المشروع الاستعماري البريطاني الذي أقيمت القنصلية في سياقها، وبين السياق الديني البروتستانتي الذي أعاد الاعتبار الديني للتوراة، وما انبثق عن ذلك بمساعي تشجيع اليهود للهجرة إلى فلسطين، وتأتي مشكلة الدراسة أيضاً في الظروف التي أدت لنجاح القنصلية البريطانية في استثمار القوانين العثمانية على تناقضها وتعددتها، وفي احتضان كل الرعايا اليهود خاصة المنحدرين من الجنسية الروسية.

الدراسات السابقة: تناولت دراسات سابقة عديدة؛ هذا الدور الهام للقنصلية البريطانية في القدس في دعم الهجرة والاستيطان الصهيوني، وكان من أبرز هذه الدراسات، دراسة **المؤرخ الصهيوني مائير فيريتي** والتي تساءل فيها عن سبب افتتاح قنصلية بريطانية في القدس، إذ لم يكن هناك الكثير من الرعايا البريطانيين يعيشون هناك ولم تكن هناك أي شركات بريطانية تعمل هناك، وقد اقتصرته دراسته على تأكيد أولوية العامل السياسي على العامل الديني، باعتبارهما عاملين رئيسيين لافتتاح القنصلية، تناول من خلالهما المسألة اليهودية بشكل تبعي.

وكانت **ناثلة الوعري** تناولت دور القنصلية البريطانية في القدس في الهجرة والاستيطان الصهيوني، ضمن مجموع البعثات الأجنبية القنصلية في ذلك الوقت، وامتازت في ذلك باستنادها لوثائق بريطانية رسمية وسجلات المحاكم الشرعية، ولكن تتبعها لدور القنصلية جاء فرعياً ولم يحظ بالتخصيص المطلوب لا من حيث التركيز المباشر، ولا من حيث المساحة الكافية رغم اتساع دراستها وخصوصيتها، إذ لم تتجاوز 15 صفحة من أصل 400 صفحة، لم يرد فيها جوانب الدعم العملي سوى في صفحتين، كما غفلت الباحثة عن كثير من الخدمات الترويجية والدعائية والعملية المباشرة التي قدمتها القنصلية البريطانية للمشروع الصهيوني.

وجاءت دراستي **نظام العباسي وصالح الشورة** في سياق تتبع الدور البريطاني العام في خدمة المشروع الصهيوني ضمن فترتين زمنييتين متلاحقتين، وقد تنبه كليهما لدور القنصلية في هذا الخصوص، لكنهما لم يركزا على حيوية دور القنصلية في التأسيس لهذا المشروع، وعليه لم يفردا المساحة الكافية ولا الخدمات الاستثنائية التي وفرتها القنصلية بهذا الشأن.

وقصّر **هيثم التفكحي** في تناول مرحلة تأسيس المشروع الصهيوني، وعلاقة هذا التأسيس بافتتاح القنصلية البريطانية، عندما استغرق معظم دراسته على دور القنصليات الأجنبية الأخرى، خاصة فترة الانتداب البريطاني، فلم تحظ الخدمات الجوهرية للقنصلية البريطانية قبل الانتداب البريطاني على فلسطين بالمعالجة الكافية، عندما أهدر المساحة المخصصة لدور القنصلية البريطانية في مناقشة أسباب افتتاحها ودورها الأساس، وعليه لا يلحظ القارئ طبيعة الجوانب العملية أو الدعائية التي وفرتها هذه القنصلية للصهيانية.

1. الخلفية الدينية والسياسية للدور البريطاني في دعم الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين

1.1 البروتستانتية والتنافس الاستعماري

تتصل المساعي البريطانية في دعم الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين، بخلفية تاريخية منذ تأسس المذهب البروتستانتي على يد مارتن لوثر (ت 1546)¹، عندما ساهم في إشاعة جو التسامح تجاه اليهود في بادئ الأمر قبل أن يهاجمهم، حيث تصوّر أن بإمكانه هداية اليهود وتنصيرهم، ففي عام 1520 هاجم لوثر الكنيسة الكاثوليكية بسبب

اضطهادها لليهود، محتجاً بأن المسيحيين واليهود ينحدرون من أصل واحد، بل ورفض لوتر المقولة الإقطاعية الدينية الغربية التي ترى أن اليهود هم أقنان البلاط أو الملك.²

بدأ الإصلاح الديني في إنجلترا مع ملكها هنري الثامن (ت 1547م)، واستمر متقطعاً على مراحل حتى أواخر القرن السادس عشر، ليفضي إلى الانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية برئاسة البابا في روما، هكذا نشأت الكنيسة البروتستانتية في إنجلترا وأصبح العاهل الإنجليزي رأسها الأعلى، وقد أصبحت الرواية التوراتية جزءاً من العقيدة المسيحية، بما فيها عقيدة "شعب الله المختار"³ بالطريقة البروتستانتية، باعتبارها جسراً يمر عليه شعب الله المختار الحقيقي المسيحي الإنجليزي، أو تجسيدا لفكرة التفوق الأبيض البروتستانت، بعد عودة المسيح وبدء الألفية المسيحية السعيدة⁴، وهذا لن يتحقق في عقيدتهم إلا بعودة اليهود إلى أرض الميعاد.⁵

وكانت الكراهية الشائعة لليهود واضحة في الأدب والصحافة في إنجلترا في القرن التاسع عشر، وقد عبر الروائي الإنجليزي تشارلز ديكنز (ت 1870) عن هذه الكراهية بوضوح وبطريقة ما في روايته "صديقنا المشترك"⁶، وليس ثمة تناقض بين ما يسمى التعاطف الإنجليزي بعودة اليهود لفلسطين، وبين شيوع الكراهية ضدهم، ولعل هذه الكراهية هي بعض أسباب الرغبة الإنجليزية بخروج اليهود نحو فلسطين، وهذا بجملته يشير لأزمة التأسيس البروتستانت في النظرة المتناقضة لليهود، أو هي العوامل الثلاث التي تداخلت في عملية دمج اليهود في المجتمع الإنجليزي حسب ما يرى المؤرخ الإنجليزي سيسيل روث (ت 1970)⁷، وهي التعاطف مع النزعة المثالية العبرانية كما تجلت في العهد القديم وهو الوثيقة الدينية الأساس للمسيحيين واليهود، وقدرًا من التعاطف الشديد حتى الإحساس بالخجل إزاء ما تعرض له اليهود من معاناة، وأملًا متقدماً في تحقق النبوءة المتمثلة بإعادة اليهود إلى فلسطين.⁸

وجدت فكرة الأصول العرقية الوثنية والدينية والتوراتية لعقيدة التفوق الأبيض البروتستانت؛ تأصيلاً علمياً لها خاصة عند العلماء البريطانيين بالتوازي مع البعد الديني البروتستانت في رعاية اليهود وضرورة هجرتهم واستيطانهم في فلسطين، بالتوازي مع الدور الاستعماري البريطاني، إضافة لقضية المسألة الشرقية⁹ في توزيع التركة العثمانية، وقد اعتبرت وزارة الخارجية البريطانية القدس مركز المسألة الشرقية، وأن المعارك حول المسائل السياسية تتم بأسلحة كنايسية¹⁰، والتصدي للأطماع الروسية في الوصول للمياه الدافئة، فبريطانيا أكبر كيان استعماري في العالم وهي تنظر لفلسطين باعتبارها محطة جوهريّة في خط إمدادها الاستعماري، وليس ثمة حال أفضل من تحولها لكيان يهودي صهيوني، وإن لم تكن الحركة الصهيونية اليهودية قد ظهرت بشكل رسمي، لكن الصهيونية المسيحية التي مهدت لها، كانت قد قطعت شوطاً هاماً في الإطار الديني والفكري والسياسي.¹¹

نالت فكرة تجميع اليهود في الأراضي المقدسة المنبثقة عن الأفكار البروتستانتية، دعم النخبة السياسية البريطانية على وجه التحديد، حيث تم رفق الحركة الصهيونية السياسية بدماء دينية تسري عبر العروق المسيحية واليهودية وظفت لغايات سياسية ومصالحية تبادلية بين بريطانيا والصهاينة، عبر عنها الموقف البريطاني الذي لخصه رئيس الحكومة لويد جورج (ت 1945)¹² وهو يصف نفسه أنه صهيوني، وإنه يؤمن بما جاء في التوراة من ضرورة عودة اليهود، وأن عودة اليهود مقدمة لعودة المسيح¹³، إضافة إلى ذلك جاءت الأهداف الاقتصادية تعزيزاً للقواسم الدينية المشتركة، تحت مبرر تحقيق مصلحة بريطانيا وأهدافها الاقتصادية، بالتحالف مع الأثرياء اليهود ذوي النفوذ الواضح في القرار السياسي البريطاني.

وسبق للحملة الفرنسية على بلاد الشام (1798-1801م) بقيادة نابليون بونابرت (ت 1821)، أن فتحت باب المنافسة على مصراعيه بين الدول الكبرى، في ظل الرعاية الفرنسية للكاتوليك والروسية للأرثوذكس¹⁴، ما دفع بريطانيا لرعاية اليهود ضمن خلفية بروتستانتية وفي سياق استغلال سياسي استعماري، وهو ما ظهر في عدة تصريحات لوزير خارجية بريطانيا بالمرستون (ت 1865)¹⁵ والذي أشرف على افتتاح القنصلية البريطانية في القدس،

وحدد لها طبيعة مهامها وخاصة رعاية اليهود من كل الجنسيات الأوروبية، خاصة وأن هذا الوزير الذي ارتقى لاحقاً ليصبح رئيس الحكومة معروف بميوله العقائدية¹⁶.

نمت بذور الصهيونية في تربة الأطماع الأوروبية في الشرق عبر التعاون بين اليهود وبعض الحكومات الأوروبية، ولما كانت لندن مركزاً مالياً للحركة الصهيونية فقد استثمره الأثرياء اليهود الذين ارتبطوا بعلاقات خاصة مع النخبة السياسية الانجليزية، ومع المصلحة الاستعمارية البريطانية في قناة السويس، لتأمين الطريق إلى الهند وتحقيق الأطماع في مصر وفلسطين.

وجاءت اتجاهات بعض الساسة البريطانيين، بالربط بين أهمية فلسطين للمصالح البريطانية وبين تجميع اليهود فيها، رافداً للمشروع الاستيطاني اليهودي في فلسطين برعاية بريطانية، باعتبار أن هذا الاستيطان هو أفضل من إقامة الجيش البريطاني؛ ذلك أن وجود قوة صديقة للاستعمار يمثل حصناً متقدماً في الشرق يفصل بين الجزء الأفريقي والجزء الآسيوي للمنطقة العربية، وهنا تم استحضار العامل الديني حتى يسوّغ المشروع ويضفي عليه نوعاً من الشرعية والأخلاقية، فلم يجدوا هذا التسويغ إلا في العهد القديم، وأن الله اختار العنصر الأنجلو سكسون البروتستانتي الأبيض لقيادة العالم، كما جعل الله اليهود شعبه المختار¹⁷.

2.1 القنصلية البريطانية في القدس بين المصالح السياسية البريطانية والمسألة اليهودية

نشأ النظام القنصلي في فلسطين تبعاً لسياسة الامتيازات التي اعتمدت بين الدولة العثمانية وفرنسا سنة 1535، زمن السلطان سليمان القانوني (1525-1565)¹⁸، وقد استغلت بريطانيا سيطرة قوات الحاكم المصري محمد علي باشا (1805-1848) على فلسطين، بقيادة ابنه إبراهيم باشا (ت 1848) سنة 1831، لافتتاح قنصلية لها في القدس سنة 1838، على أرضية التحول الذي ساهمت به السنوات التسع لهذه السيطرة¹⁹، والتي تدعى فيها نظام الملل المؤسس على نظام أهل الذمة الذي سبق أن قننه فقهاء العصر العباسي الأول، والذي انتهى رسمياً بصدور التنظيمات العثمانية²⁰ سنة 1839، وتم تجاوزه كلياً بصدور الخط الهمايوني²¹ سنة 1856²²، وهو التحول الذي نقل البلاد إلى عتبة العصر الحديث، حسب ما رأى الكاتب الصهيوني يارون بيرى، والذي أمكن القوى الغربية أن تضع موطئ قدم لها في فلسطين ما ساعد على تغييرها بشكل كلي²³.

تأسست القنصلية البريطانية في القدس، ولم يكن في فلسطين جالية بريطانية ذي بال لتقوم القنصلية برعايتها، فلم يكن عدد الإنجليز في فلسطين يزيد عن 171 شخصاً²⁴، وقد جاء إنشاء هذه القنصلية في سياق التنافس الأوروبي في المسألة الشرقية ابتداءً، ولكن الأدب اليهودي وخاصة ما كتبه ناحوم سوكولوف (ت 1936)²⁵، بعد وعد بلفور أخذ يبالغ في الربط بين افتتاح القنصلية، وبين التعاطف السائد في إنجلترا حول عودة اليهود إلى فلسطين باعتبار ذلك قضية رأي عام، لأن القضية في جوهرها ليست سوى مصالح بريطانية مباشرة، وليس فقط استجابة لطلب المبشرين الإنجليز أو لأجل المسألة اليهودية، ويتعزز هذا الرأي بوثيقة تثبت أن بالمرستون قرر افتتاح القنصلية قبل تدخل السياسي الإنجليزي والمفكر الصهيوني المسيحي؛ اللورد شافتسبري (ت 1885)²⁶ بعامين على خلفية إلحاح قنصل بريطانيا في دمشق²⁷.

وكانت أول محاولة لتعيين قنصل بريطاني في القدس كانت سنة 1834 من قبل القنصل العام البريطاني في دمشق، لغاية تسوية نزاع مالي بين رعايا بريطانيين وديريوناني، حتى أنه رشّح شخصاً أرمنياً لمهمة القنصل المقترح، لكن عند التدقيق في طبيعة العوائل البريطانية التي كانت مثار النزاع المالي، تبين أنها عائلة مبشر من أصل دنماركي وعائلة يهودية قدمت من جبل طارق وعائلة ثالثة لشخص يدعى ليفي²⁸، ما يغلب عليها الطابع الديني البروتستانتي أو اليهودي، وعندما أبلغ القنصل البريطاني في القاهرة عام 1836 عن وصول هدايا قيمة من الحكومة الروسية لصالح

الكنيسة اليونانية في كنيسة القيامة، وقد لفت ذلك انتباه بالمرستون إلى أنشطة روسيا في المنطقة، مما دفعه إلى ملاحظة أنه "من المستحسن أن يكون هناك وكيل قنصلي إنجليزي في القدس"²⁹.

تساءل المؤرخ الصهيوني مائير فيريتي (ت 1990) عن سبب إنشاء قنصلية بريطانية في القدس، حيث لم تكن هناك حاجة إلى وجود قنصلية بريطانية في القدس، إذ لم يكن هناك الكثير من الرعايا البريطانيين يعيشون هناك ولم تكن هناك أي شركات بريطانية تعمل هناك، إذن، ما الحاجة إلى قنصل بريطاني في القدس إذا لم يكن يخدم المواطنين البريطانيين أو التجارة البريطانية؟ ويخلص أن هناك دافعين رئيسيين وراء مثل هذا القرار، الأول سياسي والثاني ديني، إذ لا يمكن إنكار أن البريطانيين كانوا يرغبون في عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين، ولكن في عام 1838، كانوا يرغبون في عودتهم كبروتستانت متحولين، وليس كمهود³⁰.

ورأى المؤرخ البريطاني هيامسون (ت 1954)³¹ أن المسألة اليهودية أحد أهم العوامل الرئيسة لتأسيس القنصلية البريطانية، بل إن القضايا اليهودية احتكرت اهتمام القنصلية غالباً، وهيامسون كان أحد مسؤولي الإدارة البريطانية في فلسطين فترة الانتداب، وقد عزز أقواله بوثائق حصل عليها من أرشيف القنصلية، وما يعزز قوله أن اللغة العبرية كانت اللغة المستخدمة في أداء وإدارة القنصلية³².

ومما يشير أن مشروع القنصلية جاء في سياق المسألة اليهودية بغض النظر عن اعتبارها أصلاً دينياً أم في سياق المصالح البريطانية الاستراتيجية المباشرة، مع عدم التناقض بينهما فالدين يخدم السياسة في العقل الرأسمالي الغربي وخاصة البريطاني منه، أن وزير خارجية بريطانيا بالمرستون، أصدر بعد افتتاح القنصلية توجهاً لصحيفة جلوب الناطقة باسم الخارجية، لتصدر سلسلة مقالات تدعو فيها لتكوين دولة يهودية مستقلة في فلسطين، كما تولت صحيفة التايمز اللندنية نشر مقال بذات الأمر، وعزز اعتبار المسألة اليهودية عندما تجاوبت القنصلية مع بعثة كنسية أرسلتها الجمعية العمومية لكنيسة اسكتلندا، والتي وجهت معظم جهودها لحماية الجالية اليهودية في فلسطين³³.

والاعتقاد السائد أن مشروع القنصلية؛ كان من بنات فكر اللورد شافتسبري، والذي تربطه مع بالمرستون مصاهرة، وهو المتيقظ باستمرار لاقتناص "علامات الأزمان"³⁴، وقام بعدة محاولات لتحويل صهيونيته الفكرية إلى صهيونية سياسية، فتحدث مع بالمرستون عن استخدام اليهود كرأس حربة لبريطانيا في الشرق الأوسط، ففتح بالمرستون القنصلية في القدس، والتي رأى فيها عبد الوهاب المسيحي بداية الصهيونية الاستيطانية، ولضرورة مقاومة مصالح الدول الأخرى وحتى تجد بريطانيا من تحميها، فقد كانت فرنسا تحمي الكاثوليك وكانت روسيا تحمي الأرثوذكس، وما حقق الفوز هو قدرة شافتسبري على وضع مسألة الوجود البريطاني في المنطقة في سياق متناغم مع عقيدة بالمرستون الحقيقية الخاصة المتمثلة بالإمبراطورية البريطانية³⁵.

وكان القنصل وليام ينج يقدم الحماية والتبعية لإنجلترا، لأي يهودي دون التثبت من أصله، وقد وافق الروس بين عامي 1847 و 1849 على أن يقوم الإنجليز بحماية اليهود الروس، وهي المادة البشرية التي ستستخدمها الصهيونية الغربية، وكما يقول سوكولوف، فإن حماية اليهود جزء من اهتمام إنجلترا السياسي بالمسألة الشرقية³⁶.

وعند افتتاح القنصلية دعا شافتسبري عام 1838 لاستغلال تربة فلسطين ومناخها، باعتبارها مناسبة لنمو محاصيل تتطلّبها احتياجات إنجلترا مثل القطن والحرير وزيت الزيتون، وبين شافتسبري أن كل المطلوب لإنجاز هذه العملية هو رأس المال والمهارة وكلاهما سيأتي من إنجلترا، وخصوصاً بعد تعيين قنصل لإنجلترا في القدس إذ سيؤدي وجوده إلى زيادة أسعار الممتلكات، ثم يقترح عند هذه النقطة توظيف اليهود على أن يكون القنصل البريطاني الوسيط بينهم وبين الباشا العثماني حتى يصبحوا مرة أخرى، مزارعين في يهوذا والجليل³⁷.

استعان القناصل الأوروبيين بالفلسطينيين المحليين؛ لمساعدتهم في تثبيت أركان قنصلياتهم في القدس، ولذلك عمدوا إلى تعيين بعض الفلسطينيين المسيحيين وغيرهم ممن يتقنون اللغات الأجنبية، من أجل تسهيل عملية التواصل مع زعماء المدينة وتجارها؛ خدمة لمصالح بلدهم، والتمكن من تنفيذ مخططاتهم، وتحقيق أهدافهم بالسيطرة وتوسيع النفوذ، لذا بادر القنصل بمخاطبة القضاء الشرعي في المدن الفلسطينية وخاصة الساحلية منها مثل حيفا ويافا وعكا "أن حكومة بريطانيا تسعى إلى تحقيق رغبتها في استئجار مبان لها لإقامة مراكز وقناصل فرعية تكون روافد للقنصلية العامة في القدس، في توفير المعلومات وحماية بريطانيا العظمى"³⁸.

وكان من مهام القنصلية الأساسية حماية المصالح الحيوية لليهود، بهدف تحويل اليهود في القدس إلى نصارى بروتستانت، ولكن فكرة التنصير تلاشت أمام رسوخ فكرة إعادة اليهود إلى فلسطين في الأدب الإنجليزي والثقافة البريطانية تجاه فلسطين، وقد امتزج سحر المبدأ مع المصالح الحربية والسياسية والاستراتيجية التي أفرزتها الحرب العالمية الأولى لتظهر بصورة وعد بلفور سنة 1917³⁹، وسارت الدول الأوروبية على خطى بريطانيا، وافتتحت قنصليات لها في القدس، تبعها ألمانيا سنة 1841 م، والنمسا عام 1849، وروسيا عام 1858⁴⁰.

وهكذا تعددت وتداخلت الأسباب المباشرة لافتتاح القنصلية البريطانية في القدس، وأخذت آراء المؤرخين سياقات مختلفة، سواء كانوا صهيانية يهود أو صهيانية مسيحيين أو متابعين محايدين، ولكنها بالنتيجة ظلت تدور حول المصالح البريطانية السياسية المتداخلة مع الخلفية الدينية البروتستانتية، وأن المحرك المباشر لهذا الافتتاح أيضاً يبقى في هذا الإطار، سواء جاء بإلحاح من شافيتسبري لغاية القضية اليهودية المباشرة، أو من القنصل البريطاني في دمشق، لغاية رعاية مصالح البريطانيين، فإن نوازع شافيتسبري لم تكن بانفصال عن المصالح السياسية لبريطانيا في العالم، كما أن مطالبة قنصل دمشق تناولت رعاية مصالح عوائل بريطانية غالبيتها يهودي حسبما يظهر.

2. دور القنصلية البريطانية في القدس في رعاية الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين.

أ- دور القنصلية البريطانية في الترويج الديني والثقافي للمشروع الصهيوني

جاء تعيين وليم يونغ وهو صهيوني مسيحي، كأول قنصل في القدس، بهدف حماية اليهود القاطنين في القدس، وكان عددهم في فلسطين عام 1838 حوالي 9690 يهودياً⁴¹، ويونغ هو صديق للورد شافيتسبري وهو صاحب فكرة القنصلية بالأساس⁴²، وكان تولى وداع يونغ وهو في طريقه إلى فلسطين وكتب متهجاً بهذه اللحظة التاريخية⁴³، ليؤكد طبيعة الوظيفة الجوهرية لهذه القنصلية، خاصة أن تعيينه وكان في جعبته أمر من الخارجية البريطانية أن يجعل من مهامه الأساسية "تكريس الوجود البريطاني في القدس، وبالتالي في المدن الأخرى لحماية مصالحها الحيوية ورعاياها من الطائفة اليهودية، واليهود الوافدين إلى فلسطين بذريعة الرحلات المقدسة التي سمح لهم بها وأن تحولوا دون قيام الباب العالي بمنعهم من الإقامة وهذا واجب عسكري تسألون عنه"، لذا استصدر السفير البريطاني في استنبول من الباب العالي فرماناً بتأكيد وجود القنصلية العامة في القدس، لتكون المرجع الديني والسياسي والعسكري الوحيد لبريطانيا في المنطقة⁴⁴.

أخذ وليم يونغ بالترويج للفكر الصهيوني، فيما يظهر من رسالته لوزير خارجية بريطانيا اللورد بالمر ستون في آذار 1839 م، ونصها: "هناك، يا سيدي، طرفان ينبغي أخذهما في الاعتبار وهما ولا شك يعتبران نفسيهما لهما هدف إبداء رأيهما في مستقبل الأوضاع هنا: أحد هذين الطرفين هم اليهود الذين أعطاهم الرب في الأصل هذه الأرض ملكاً لهم، أما الطرف الثاني فهم المسيحيون البروتستانت، سلالتهم الشريفة، ويبدو كما أرجو أن أقترح بكل تواضع أن تكون بريطانيا العظمى الحارس الطبيعي لهم، ولقد بدءوا هنا في أخذ مواقفهم بين المطالبين الآخرين"⁴⁵، فجاءه الرد الصريح "سيكون من واجبك كنائب قنصل في القدس أن توفر الحماية عامة لليهود" باعتبارهم أمة قائمة بذاتها⁴⁶.

توجهت جهود القنصلية البريطانية في القدس نحو الأرثوذكس العرب، بعد فشل مساعيها في تنصير اليهود، في وقت وضعت فيه القنصلية اليهود تحت حمايتها السياسية، وكان لبريطانيا يد فضل على الدولة العثمانية في التخلص من سيطرة قوات محمد علي على فلسطين سنة 1840م، وهي فترة امتدت تسع سنوات أضفى فيها حكم محمد علي أجواء جديدة من الحكم الليبرالي خاصة تجاه غير المسلمين، وهو الجو الذي استمر حتى بعد العودة العثمانية وتحديدًا مع إصدار قانون خط كولخانة⁴⁷.

شمل نفوذ القنصلية البريطانية كامل أرض فلسطين بخلاف بقية قناصل أوروبا الذين اقتصر نفوذهم على القدس، وهو ما تطلب مضاعفة مخصصاتها المالية⁴⁸، وسعت بريطانيا إلى تأسيس أسقفية أنغليكانية بروتستانتية في القدس، واستقر حالها بداية داخل حرم القنصلية، حتى تم تدشينها سنة 1849م باعتبارها كاتدرائية بروتستانتية تتولى رعاية اليهود والبروتستانت معاً، في وقت عززت القنصلية اطلاعها على تطورات الأوضاع في فلسطين، وكل ما يتصل بمستقبل الهجرة والاستيطان اليهودي، بشكل يفوق اطلاع الحكومة العثمانية ذاتها⁴⁹.

اتجهت القنصلية في مشروعها الدعائي الصهيوني، نحو طمس الهوية الفلسطينية من خلال استخدام عبارات ومصطلحات تمس بالهوية الوطنية والقومية والإسلامية للشعب الفلسطيني، بل حاولت جاهدة وقف أذان الفجر في بعض المدن الفلسطينية مثل نابلس لأن الأذان يؤثر على حياة المسيحيين، وتثبت الوثائق أنها وفرت دعماً مالياً لبعض المشايخين لإثارة فتنة كبيرة في نابلس، ورعاية احتفالات دينية مثيرة لمشاعر المسلمين⁵⁰.

وحرص القنصل فين على استحضار الذاكرة اليهودية التوراتية حينما يورد أسماء المناطق والمدن العربية التي يرصدها مثل كيفا أي حيفا أو شخيم أي نابلس أو أسدلرون أي مرج ابن عامر أو حرمون، أي جبل الشيخ، وبحر كنروت، أي طبريا، عندما وضع مؤلفاً ضخماً ضمنه خططه الترويجية للصهيونية بشكل صريح ومباشر ووقع، وقد تولت زوجته إليزابيت آن ماك طباعته وهي ناشطة بروتستانتية تبشيرية فاعلة، وضمنته ملاحظاتها الخاصة، وقد جعل فين ترويجه الصهيوني ضمن فصول كاملة متتابعة من كتابه⁵¹.

خلف يونغ في عمله على رأس القنصلية البريطانية في القدس؛ المستر جيمس فين وهو صهيوني غير يهودي، عمل قنصلاً بريطانياً في القدس من سنة 1845-1862، كان من رواد الدعوة لتوطين اليهود في فلسطين⁵²، حيث بلغت جهود القنصلية ذروتها في فترته في رعاية الهجرة والاستيطان الصهيوني⁵³، وكان يوصف كرجل نصف يهودي، وهو الذي حافظ على عمله القنصلي في القدس لمدة 17 سنة لم يقدم فيها على طلب إجازة ولو مرة واحدة، حتى تم عزله ثم إفلاسه حتى وفاته سنة 1872م وحيداً فقيراً كئيلاً⁵⁴.

جعل فين عنوان الفصل الخامس من كتابه بصيغة صريحة بالترويج للقضية الصهيونية "أوضاع اليهود في فلسطين، اضطهادهم، الحماية البريطانية لليهود، وتولي مسؤولية اليهود الروس"، وقد استهله بالإشارة لطبيعة التجمعات اليهودية في القدس والخليل وطبريا وصفد، باعتباره القدس مركز تضحيات اليهود، والخليل حيث يرقد ثلاثة من الأنبياء، أما صفد وطبريا فهما حسب وصفه مهد التلمود والحاخامات المبجلين منذ العصور الغابرة، وهو يؤكد بشكل حثيث على وجود الهيكل أسفل المسجد الأقصى، بل إن ساحة المسجد الأقصى هي ذاتها ساحة الهيكل⁵⁵.

كشف فين عن صهيونيته بشكل مبكر، بصريح اللفظ وهو يشير لاعتبار حاخام اليهود الشرقيين "السفار ديم" باعتباره الصهيوني الأول، وينقل من سفر إشعياء 2: 3 "لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب"، ثم يوفر الذخيرة العاطفية والنفسية لمشروعية الانطلاق اليهودي خلف الصهيونية، بقوله أن اليهود في فلسطين ذاقوا الأمرين في العصور الغابرة، نتيجة السلوك الاستبدادي للمسلمين، الذين مارسوا شتى صنوف الجور والطغيان بحق

اليهود للاستيلاء على الأموال التي كانت تصلهم من الكنيس اليهودية في العالم، رغم إشارته أن الدولة العثمانية احتضنت هؤلاء اليهود بعد طردهم من إسبانيا⁵⁶.

تجاهل فين أن أوروبا أغلقت أبوابها أمام اليهود الإسبان الذين تعرضوا لمحاكم التفتيش أسوة بالمسلمين، إضافة لتناقضه في ذلك عند إشارته لما أسماه ومضات التشريف التي يعامل بها المسلمون اليهود في القدس، خاصة تسليمهم مفاتيح القدس عند وفاة كل سلطان لتبريكها في طقوسهم وإعادتها من جديد للوالي⁵⁷، ولكنه لا ينفك في تحريض يهود القدس والخليل للخروج عن جبنهم في دفع الإتاوات للمسلمين لحماية أماكنهم المقدسة وإقامة طقوسهم الدينية، وهو يشيد بشجاعة يهود صفد والجليل⁵⁸.

يقلب فين ظهر المجن لليهود الشرقيين محملاً لهم مسؤولية وضع العقبات في وجه الهجرة اليهودية الأوروبية، لأن هؤلاء كانوا يشككون بالأصل الإسرائيلي لليهود أوروبا الأشكنازية، وقد اتهمهم في نواياهم لأنهم يريدون احتكار الشريعة اليهودية في ذبح المواشي وفق الطريقة الموسوية لإطعام كافة يهود بيت المقدس، وهو في ذلك يحمل القضاء العثماني الإسلامي المحمدي، حسب تسميته، مسؤولية ذلك باعتباره قضاء فاسد، بينما جاء حكم محمد علي بقضاء عدلي صارم وفراارتياح لغير المسلمين، ليعقبه النظام القنصلي خاصة القنصلية البريطانية ليكون بمثابة النعمة الإضافية لليهود المساكين المضطهدين⁵⁹.

تفاخر فين بتجاوز القنصلية البريطانية للإطار الرسمي بحماية رعايا بريطانيا من اليهود، لحرصها على متابعة حماية كل يهود فلسطين مما أسماه الاضطهاد، رغم وجود قناصل لفرنسا والنمسا وروسيا⁶⁰، وهو في ذلك كان يبث رسائل يروج من خلالها للمسألة اليهودية في سياق صهيوني، باعتبار المظلومية اليهودية والحماية البريطانية المتصاعدة ما يشجع يهود العالم على الهجرة إلى فلسطين.

أظهر فين صهيونيته المسيحية اليهودية: عندما صب جام نقده للاعتراضات اليهودية التقليدية المحلية للمشاريع الصهيونية، وقد ذكرها تبعاً عندما اعترض الحاخامات على مشروعه في المشتل الصناعي، كما اعترضوا على ما أسماه المشاريع المهنية والتعليمية لمونتفيوري وروتشيلد⁶¹ وعلى مبادرات التحالف العبري⁶²، وهذا ينقض ما ذهب إليه خيرية قاسمية⁶³ أن اليهود كلهم صهيونيون بمعنى أو بآخر، بسبب الجذور التوراتية لفكر العودة لجبل صهيون في فلسطين، وهي تستند لمقالة محمد المحمصاني⁶⁴ التي قال فيها أن فكرة هذه العودة عريقة في القدم وجدت مع التوراة⁶⁵، وهذا القول الأخير مؤكد لكنه لا يعني بالضرورة أن كل يهودي صهيوني، لأن غالبية اليهود في فلسطين والعالم وقفت ضد الأطماع الصهيونية في موجة الهجرة الأولى والموجات اللاحقة، وهو ما يؤكد فين وغيره من صهاينة الغرب من اليهود والمسيحيين على السواء، وسبق للمسيري أن أورد في موسوعته عشرات المنظمات والعائلات والشخصيات اليهودية التي عارضت التوجهات الصهيونية بشكل مبكر⁶⁶.

ب- الدور العملي للقنصلية البريطانية في رعاية الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين

ساعد نظام الامتيازات الأجنبية، والذي أصدرته الدولة العثمانية لصالح الأجانب في ظل عمل القنصلية، تعزيز نفوذ اليهود الأشكنازية⁶⁷ ضد اليهود السفارديم⁶⁸، فيهود فلسطين كانوا أساساً من السفارديم المندمجين في محيطهم الحضاري الإسلامي، وقد حاولت عناصر من الأشكنازية الاستفادة من نظام الامتيازات فقاوم السفارديم هذه المحاولة في 1822 و 1823، وظل الحال هكذا حتى كَلَّت جهود الأشكنازية بالنجاح في عام 1840 بعد فتح قنصلية إنجلترا في الفترة 1838-1839، وبعد إعادة فتح قنصلية فرنسا عام 1843، بدأت عملية تغريب اليهود المحليين وتَسَلُّ اليهود الأجانب، ومما ساعد على تقوية نفوذ الدول الغربية وخاصة بريطانيا على يهود فلسطين، مؤسسة الحالوقة⁶⁹ وهي الأموال التي كان يدفعها يهود العالم، الذين كانت غالبيتهم الساحقة في الغرب لمساعدة يهود فلسطين⁷⁰.

سبق للمستوطنين الصهاينة الأشكنازية، أن تسللوا إلى داخل فلسطين عبر حصولهم على تأشيرة دخول كمواطنين أجانب من خلال القنصلية حيث تمتعوا بحقوق خاصة، ثم استوطنوا في فلسطين ولم يغادروها، وقد سهل لهم القناصل الأجانب هذه العملية، وتولوا تمرير عمليات شراء الأراضي لهم من اليهود المحليين، ففي يافا أشرفت القنصلية مباشرة على بيع خمس قطع أراضي ليهود غربيين، وكانت بالأساس ثلاث قطع كروم واقعة خارج يافا بطريق المعرض مناصفة بين نائب القنصل بيافا والخواجة هارون شلوش اليهودي الفرنسي.⁷¹

وتحول نائب القنصل في حيفا إلى مالك ثم تاجر للأراضي، وأقام علاقات وطيدة مع الفلاحين من خلال إقراضهم للمال بالتسليف وأخذ المستندات اللازمة عليهم، وقد ترتب على هذا الأمر نقل ملكية مساحات كبيرة من الأراضي إلى اليهود والأجانب.⁷²

تجاوز دور القنصلية البريطانية في القدس أساس عملها بوضع اليهود تحت الحماية البريطانية، والضغط على السلطة العثمانية للسماح بالهجرة إلى فلسطين، عندما ترأس القنصل البريطاني في القدس فين جمعية القدس الأدبية سنة 1849، والتي تشكلت للبحث والتحري عن الآثار والأراضي المقدسة بحدودها التوراتية، وجعل أعضائها من البروتستانت، وهي الجمعية التي تحولت سنة 1865 إلى صندوق اكتشاف فلسطين، وذلك في عهد القنصل الثالث تمبل مور (1863-1890).⁷³

اشترى القنصل فين قطعة أرض في القدس أسماها (كرم إبراهيم) وكتب عنها "هدفي الكبير وتطلعي لرؤية فلسطين تفلح من قبل يهود مسيحيين تمهيداً للوقت الذي ستعود إليهم هذه الأرض"⁷⁴، وقد استخدم ريع هذا الكرم لمساعدة اليهود اقتصادياً، وهو ما جعله يتقدم لخارجية بلاده سنة 1857 بطلب رسمي بتوطين اليهود في فلسطين كمزارعين "ليثمروا الصحراء"، وهو ما يمكن النظر له كأول وثيقة رسمية في التمهيد لوعده بلفور الذي وقع سنة 1917.⁷⁵

وتدخل فين بالتماس للبasha لصالح يهودي روسي، عندما تعرض للضرب على يد بعض الحجاج المسيحيين حتى كاد يهلك، وقد ختم قصته تلك بالقول أن الأرثوذكس واللاتين والأرمن كانوا يؤمنون جميعاً بأن قتل اليهودي من الممكن أن يمر مرور الكرام⁷⁶، وكذلك تدخل في قصة اليهودي سولومون أعالي الذي قتل مع بغال مسلم قرب يافا، ليتم اعتقال المترجم اليهودي الرسمي باتهام كيدي ما تسبب بالذعر بين اليهود حسب وصف فين، ما جعله يتقدم بالتماس عاجل للبasha فتم إسقاط التهمة مباشرة.⁷⁷

وتدخل نائب القنصل البريطاني في حيفا؛ روجرز، للدفاع عن يهودي تعرض للضرب سنة 1854، وكان قنصل بريطانيا في يافا؛ فينزي، يهودياً، وعمل كليهما على دعم اليهود باعتبار أنهم كانوا لا يجرؤون على الدفاع عن أنفسهم، ولا تقديم قضايا تظلم في المحاكم، وتمكن أيضاً من بناء كنيس يهودي في القدس.⁷⁸

تولت القنصلية البريطانية في القدس عبر السفارة في استنبول مهمة تشييد كنيسين للطوائف اليهودية في القدس، وكان للسفير البريطاني في استنبول وللقنصل في القدس الدور المباشر في شراء اليهودي البريطاني موشي مونتفيوري قطعة أرض في القدس سنة 1859 بمحاذاة الطريق السريع بين القدس وبيت لحم، وذلك بموجب فرمان عثماني لبناء مستشفى، ولكنه أقام عليها مساكن شعبية لليهود بدعم من السفير في استنبول والقنصل فين والذي واكب ذلك وعلق عليه باعتباره حدثاً استثنائياً، خاصة أن هذه المساكن تطورت إلى حي يهودي كامل تضاعف لاحقاً إلى ثمانية أحياء.⁷⁹

دعم القنصل مور صندوق اكتشاف فلسطين في مجال مسح الأراضي بهدف التنقيب عن الآثار، وكان قد حصل عام 1869 على فرمان بوساطة السفارة البريطانية في استنبول للتنقيب عن هيكل سليمان، في منطقة الحرم القدسي بزعم التعهد بعدم إلحاق أضرار بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة من جراء الحفريات، كان لهذا الصندوق الذي رعته

القنصلية البريطانية، بدور مهم في تزويد الساسة والعسكر البريطاني بالمعلومات الجغرافية والتاريخية والسياسية، والأهم دوره في توجيه أنظار اليهود إلى فلسطين⁸⁰.

وكان للقنصلية البريطانية دورها الأساس في مضاعفة أعداد اليهود في القدس وضواحيها، خلال فترة (1840-1880) من عشرة آلاف إلى خمسة وعشرين ألفاً، عاشوا في القدس وصفد وطبريا، والبعض منهم في الخليل ونابلس، وكان القنصل البريطاني يتابع عمليات البيع والشراء لبعض الأراضي والطواحين والمنازل والحاكير والكروم والمزارع، التي سُنحت لليهود الفرصة في شرائها عند صدور القانون العثماني بالتملك للأجانب الصادر سنة 1867، باعتبارهم رعايا أجنب يتبعون للقنصلية البريطانية، وكانت معاملات البيع والشراء تتم داخل مقر القنصلية، وقد تدخل القنصل تمبل مور (1863-1890) بتثبيت ملكية جمعية مرسلي الكنيسة الإنجليزية في فلسطين، والتي كان من أهدافها مساعدة اليهود في شراء الأراضي من الفلسطينيين⁸¹.

ومن الأمثلة على عمليات تملك اليهود لبعض الأراضي الفلسطينية باعتبارهم رعايا القنصلية البريطانية، ما جاء في سجل لمحكمة القدس الشرعية، بهذا النص "بعد صدور المضبطة من مجلس إدارة متصرفية القدس بناء على الرخصة الصادرة بحق التملك لرعايا الدولة حسب التنظيمات المؤسسة هذه، اشترى الخواجة بنسيون ليونة السكناجي تبعة إنجلترا من بائعه السيد... بشهادة مختار محلة الشرف... جميع الحصص الشائعة وقدرها أربعة قراريط، وسبعة أثمان القيراط من أصل 24 قيراطاً من جميع الدار القائمة البناء بمحلة الشرف"، كما رصد في سجل محكمة عكا الشرعية شكوى قدمت حول دين لأحد المسلمين على يهودي تاجر كان الأول قد باع قطعة أرض لإقامة مصنع في عكا، حيث تدخل القنصل مباشرة في محاولة لمنع الحجز على أملاك اليهودي⁸².

وكانت حركة أحباء صهيون بعثت وفداً عنها إلى فلسطين سنة 1882، لغاية التمهيد لإقامة بؤر استيطانية، فعلم الوفد أن الحكومة التركية تنوي بيع مساحة من الأرض التابعة لقرية عيون القرى، وهي تقع على بعد 12 كم جنوب يافا، وهي أرض عجز أصحابها العرب عن دفع الضرائب المترتبة عليها فتم عرضها في المزاد العلني، وهي في موقع مناسب للاستيطان قرب الساحل وبجوار أرض بدوية يمكن التوسع عبر شرائها بأثمان قليلة في وقت لاحق، ولكن متصرف القدس عارض هذا البيع لليهود فتدخل نائب قنصل بريطانيا في يافا وهو الحاخام حاييم امزيليغ، وتمكن من شراء الأرض المعروضة بأكملها، وهي 3340 دونم، مقابل 15 فرنك للدونم وتسجيلها باسمه ثم قام بتحويلها إلى المهاجرين اليهود، حيث استلمتها خمس عوائل يهودية أقامت عليها أساس مستوطنة ريشيون ليتسيون⁸³.

توسع اليهود البريطانيون في عمليات شراء الأراضي خاصة المحاذية للمسجد الأقصى، وهو ما أثار الشك عند العثمانيين، فأصدر متصرف القدس قراراً منع بموجبه القنصل البريطاني في القدس من القيام بأية أنشطة سياسية، ولكن القنصلية نجحت بالتحايل على ذلك عن طريق المؤسسات الدينية والتعليمية⁸⁴.

تصدى متصرف القدس رؤوف باشا (1876-1888) لنشاطات القنصلية البريطانية، حتى استجلب قراراً من الباب العالي في استنبول سنة 1882 يحرم الهجرة اليهودية إلى فلسطين، كما يحرم شراءهم الأراضي، خاصة بعد أن لفتت النظر إليه عديد من الصحف، ولكن القنصلية البريطانية نجحت مجدداً بتسهيل هجرة اليهود للقدس تحديداً في تحد صريح لهذه القرارات، رغم شكاوي أهالي القدس المسلمين وتقديمهم للعرائض بهذا الخصوص، ولكن الدولة العثمانية خضعت للضغط البريطاني لتعديل قراراتها سنة 1888 بحصر القيود ضد الهجرة اليهودية لتتعلق فقط بالمهاجرين القادمين بأعداد كبيرة وليس المهاجرين فرادى، واستغل سفراء الغرب في استنبول هذا الضعف العثماني للتخلص من رؤوف باشا، وقد نجحوا في ذلك لتحل مكانه إدارات فاسدة، واطب القناصل في القدس على الضغط عليها عبر الرشاوي لتسهيل الاستيطان الصهيوني⁸⁵.

شجعت الإدارات العثمانية الفاسدة، القنصلية البريطانية سنة 1893 لمنح حمايتها لأكثر من 200 عائلة يهودية، ورفضت الخارجية البريطانية طلباً عثمانياً بتقييد سفر رعاياها إلى فلسطين، في وقت كانت العلاقة السائدة بين الوالي العثماني في القدس والقنصل علاقة صداقة وثيقة، وهو ما ظهر مع الوالي علي أكرم بك (1906-1908) رغم محاولاته تقويض الجهود الصهيونية في القدس، وشكايته من وقاحة القناصل وانتهاكهم لسيادة الدولة، واستنتج من متابعاته لبعض عمليات شراء اليهود للأراضي أن هناك احتمال للسيطرة على البلاد في نهاية المطاف، وهو ما جعله يتدخل ليعطل عمليات شراء اليهود للأراضي.⁸⁶

جاء عهد جمعية الاتحاد والترقي (1909-1918) حيث تميزت سياسة هذا العهد اتجاه اليهود بالتسامح واللين، لهذا نجدهم تساهلوا في السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين والإقامة في القدس، لدرجة أنه تم تعيين نسيم ماص لياح اليهودي وكيل الجمعية الصهيونية ناظرًا للتجارة، وذلك من أجل الحصول على قروض من أغنياء الحركة الصهيونية.⁸⁷

أغلقت القنصلية البريطانية أبوابها عام 1914 بعد وقت قصير من دخول الدولة العثمانية الحرب ضد بريطانيا⁸⁸، وكانت بريطانيا ممثلة بسبع قناصل في فلسطين، وهناك من يرى أن إغلاقها تم عام 1917، وهو العام الذي صدر فيه وعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وقد حلت محل القنصلية إدارة عسكرية حتى صدور الانتداب عن عصبة الأمم المتحدة سنة 1922 بشكل رسمي، وكانت القنصلية قد رسخت أسس الواقع السياسي والاقتصادي والقانوني للهجرة والاستيطان الصهيوني في فلسطين.⁸⁹

وغداة صدور وعد بلفور كان عدد سكان فلسطين نحو 670 ألف نسمة، منهم نحو 60 ألف يهودي فقط، وسنة 1920 كان عدد اليهود في فلسطين يقدر بـ 85 ألفاً، بينما ذكر تقرير الإدارة العسكرية البريطانية قبل ذلك بأن عددهم يقارب 55 ألفاً، وترافق تصريح بلفور مع انضمام 150 متطوعاً يهودياً للجيش البريطاني، وأصبحوا نواة للفيلق اليهودي⁹⁰ سنة 1917، وكان ذلك نتيجة لنشاط الزعيم الصهيوني زئيف جابوتنسكي (ت 1940)⁹¹، وبتاريخ 11 كانون الأول 1917، أي بعد مرور 40 يوماً على إصدار تصريح بلفور، دخلت القوات البريطانية إلى مدينة القدس مدشنة بذلك عهداً جديداً في فلسطين.⁹²

وخلال الفترة الممتدة بين نهاية الحرب العالمية وتحويل فلسطين للانتداب البريطاني سنة 1922، شرع الاحتلال البريطاني بخطوات منهجية في تطبيق وعد بلفور⁹³، حيث اعترف بالمؤسسات الصهيونية القائمة، مثل الوكالة اليهودية التي ترعى الهجرة والاستيطان، والصندوق القومي لتهويد العمال ودعم الاقتصاد الاستيطاني، وتم منح امتيازات الأراضي والموارد الطبيعية ومشروع الري والكهرباء واستخراج المعادن والأملاح وصناعة الاسمنت لمؤسسات صهيونية، خاصة منح المهندس الروسي الصهيوني بنحاس روتنبرغ (ت 1942)⁹⁴ امتيازات حيويين سنة 1921، وهما امتياز نهر العوجا لإنتاج الطاقة الكهربائية بواسطة القوة المائية في بحريفا مدة 36 سنة، وامتياز نهر الأردن وروافده لإنتاج طاقة كهربائية مدة 70 سنة.⁹⁵

خاتمة:

خلصت هذه الدراسة لجملة من المعطيات التاريخية الهامة، وهي في جوهرها انصبت في صلب المشروع الاستعماري البريطاني بأدواته المختلفة خاصة الأداة الدينية مع كونها هدف أيضاً، وذلك انعكاس لطبيعة المجتمع البريطاني الرأسمالي، ما أفرز مشروعاً صهيونياً مكتمل الأركان، وأهم هذه المعطيات التي خلصت لها الدراسة:

- أن افتتاح القنصلية البريطانية في القدس جاء في سياق استعماري بريطاني، سواء كانت أولوية السياسة البريطانية وقتها حماية مصالحها في منافسة روسيا وفرنسا وألمانيا على استثمار الضعف العثماني المتنامي،

أو جاءت لدعم الهجرة اليهودية والاستيطان الصهيوني في فلسطين، فقد ساعدت القنصلية في تحقيق الهدفين وقد تحرك كل منهما نحو الآخر، مع حضور واضح للعامل الديني البروتستانتي المؤمن بقدسية التوراة.

- جاء الترويج الدعائي للفكر الصهيوني عبر ثنائي أسطورة المظلومية اليهودية وأرض الميعاد، على رأس أولويات عمل القنصلية، وظهر السفر الضخم كيوميات للقنصل الثاني جيمس فين من فلسطين، وقد تم نشره في بريطانيا ليساهم في توفير البيئة البريطانية والغربية الحاضنة للمشروع الصهيوني.
- كشفت المعلومات الموثقة حول الخدمات العملية المباشرة للقنصلية في حماية الصهاينة، وفي سلب الأراضي من مالكيها الأصليين سواء كانوا من العرب أو اليهود المحليين، وقد قدمت مشهداً حياً كاملاً في الخدمة الاستراتيجية التي أدتها القنصلية في التأسيس للمشروع الصهيوني.
- أطلقت بريطانيا وعد بلفور بالوطن القومي لليهود في فلسطين، على أرضية اختبار الأجواء الداخلية سواء كانت في فلسطين أو في بريطانيا، من خلال عمل القنصلية، وهو ما أسس لفكرة احتلال فلسطين ضمن عوامل استراتيجية أخرى تتصل بالحرب العالمية، لينفذ الاحتلال ثم الانتداب المهمة التاريخية كاملة في إقامة دولة الكيان الإسرائيلي على أطلال الشعب الفلسطيني.

الهوامش (الإحالات):

- ¹ الشريف، ريجينا، الصهيونية غير اليهودية وجذورها في التاريخ الغربي، ترجمة أحمد عبد العزيز، دار المعرفة، الكويت، د ط، 1985، ص19. شريتح، فاخر، المسيحية الصهيونية، رسالة ماجستير، إشراف نسيم ياسين، الجامعة الإسلامية، غزة، 2005، ص43-51. هندريكس، سكوت، مارتن لوثر، ترجمة كوثر محمود، مؤسسة هنداي، لندن، ط1، 2017، ص15-16.
- ² المسيحي، عبد الوهاب، اليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1999، مج3 ص14. لوثر، مارتن، أكاذيب اليهود، تعليق محمود النجيري، مكتبة النافذة، الجيزة، ط1، 2007، ص157.
- ³ عقيدة شعب الله المختار تعني أن أرواح اليهود جزء من الله، وإذا ضرب أممي (جوييم) إسرائيلياً فكأنما ضرب العزة الإلهية، وأن الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بمقدار الفرق بين اليهودي وغير اليهودي. السقاف، علوي، موسوعة الملل والأديان، الدرر السنية، د م، 2012، ج1 ص151.
- ⁴ شولش، ألكزاندر، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ط2، 1993، ص76-78. كامل، عبد العزيز، المسلمون والعالم، مجلة البيان، د م، ع141، 1999، ص104.
- ⁵ شولش ص76. الشريف، ريجينا، الصهيونية غير اليهودية، ترجمة أحمد عبد العزيز، دار المعرفة، الكويت، د ط، 1985، ص23-45. الدسوقي، عمر، ذكريات لندن، مجلة الرسالة، القاهرة، ع289، 1939، ج300 ص32. بطرس، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، مكتبة الدراسات الفلسفية، د م، ط5، د ت، ص7.
- ⁶ Yurdakul Nurcan, From the British Consulate to the US Embassy in Jerusalem, Daily News, Ankara, January 04 2018, p1.
- ⁷ سيسيل روث استاذ جامعي بريطاني وتربوي ومؤرخ، صاحب موسوعة اليهودية. المسيحي مج2 ص447.
- ⁸ بركلي، بول، الصهيونية المسيحية، ترجمة فاضل جتكر، مكتبة المهتدين، دمشق، ط4، 204، ص88.

- ⁹ المسألة الشرقية هي مصطلح غربي إمبريالي يجسد وجهة النظر الغربية تجاه تقسيم الدولة العثمانية. فين جيمس، أزمنة مثيرة وقائع من سجلات القنصلية البريطانية في بيت المقدس 1853-1856، ترجمة جمال أبو الغيدا، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 2017، ص35. كرد علي، محمد، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط3، 1983، ج3 ص208. المسيري مج4 ص256.
- ¹⁰ الشورة، صالح، دور بريطانيا في توطين اليهود في القدس، مجلة المشكاة، مج7 ع2، آب 2020، ص16.
- ¹¹ Yaron Perry, British Mission to the Jews in Nineteenth-century Palestine, University of Haifa, London, Frank Cass Publishers, 2003, p 3-5.
- ¹² سياسي بريطاني من زعماء حزب الأحرار كان رئيساً للوزراء النصف الأخير من الحرب العالمية الأولى 1916 -- 1922. السقاف ج1 ص188، 197-198.
- ¹³ المسيري مج6 ص73.
- ¹⁴ سرور، موسى، الإشكالية الإنسانية والاستعمارية في العلاقة بين فرنسا ومهاجري الحركة الصهيونية إلى فلسطين العثمانية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، الكويت، 166/42، 2024، ص117.
- ¹⁵ بالمرستون سياسي بريطاني بدأ حياته كمصمم أزياء ورجل فكا في مقاهي لندن، ثم تمكن لاحقاً من تولي منصب وزير الخارجية البريطاني في ثلاث مناسبات وخدم مرتين كرئيس وزراء كان له شأن كبير في توسيع دائرة بريطانيا الدبلوماسية الخارجية. الدليبي، إياد، اللورد بالمرستون ودوره في السياسة الخارجية البريطانية، رسالة دكتوراه في فلسفة التاريخ، إشراف لطفي فرج، جامعة المستنصرية، 2012، ص1-9.
- ¹⁶ الدليبي ص135-140.
- ¹⁷ الرشدي، حسن، أسباب التحيز الأمريكي البريطاني لإسرائيل، مجلة البيان، د م، ع135، 1999، ص56.
- ¹⁸ الوعري، نائلة، دور القنصليات الأجنبية في الهجرة والاستيطان اليهودي، دار الشروق، عمان، ط1، 2007، ص47، 55-56.
- ¹⁹ العارف، عارف، تاريخ القدس، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، ص116-117. عبد الكريم ص110.
- ²⁰ التنظيمات العثمانية هي حركة إصلاحية بدأت في الدولة العثمانية في النصف الأول من القرن (19 م) (1839-1878). كامل، عبد العزيز، العلمانية، مجلة البيان، د م، ع125، 2003، ج195 ص34. سرور ص117.
- ²¹ الخط الهمايوني هو قانون عثماني وضعه السلطان العثماني عبد المجيد الأول سنة 1856 لتنظيم بناء دور العبادة في جميع الولايات التابعة للدولة العثمانية، وطبق على كل الملل والأديان غير الإسلامية. كرد علي ج3 ص78. سرور ص117.
- ²² فرسخ، عوني، التحدي والاستجابة في الصراع العربي الصهيوني، دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2004، ص79.
- ²³ Yaron p1.
- ²⁴ منصور، جوني، أزمنة مثيرة لجيمس فين، ترجمة جمال أبو الغيدا، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 2017، ص11.
- ²⁵ ناحوم سوكولوف هو صحفي وكاتب يهودي بولندي، من زعماء الحركة الصهيونية والمؤرخ الرسمي لها. شغل مناصب مختلفة في الاتحاد الصهيوني العالمي وكان رئيس الاتحاد بين السنوات 1932 و1935. المسيري مج6 ص244.
- ²⁶ ألتوني أشلي كوبر، لورد شافتسبري السابع، واحد من أهم الشخصيات الإنجليزية في القرن التاسع عشر، ومن أهم المصلحين الاجتماعيين. المسيري مج6 ص160.
- ²⁷ Verite. M, why was a British Consulate established in Jerusalem? The English Historical Review, Issue 335, April 1970, Pages 316–320, 335.
- ²⁸ Verite p316–320, 335.
- ²⁹ Yurdakul p1.
- ³⁰ Verite p316. Yurdakul p1.
- ³¹ البرت هيامسون هو مؤرخ بريطاني ويهودي صهيوني وموظف حكومي بريطاني تولى دائرة الهجرة في الانتداب البريطاني على فلسطين. أبو حلبية، حسن، دور هجودات هأعفوداه في الهجرة والاستيطان، المجلة العربية للنشر العلمي، د م، ع29، آذار 2021، ص423.
- ³² Hyamson Albert M. The British Consulate in Jerusalem in Relation to The Jews of Palestine, 1838–1914, International Affairs Review Supplement, Volume 19, Issue 2, October 1940, Pages 141–142.
- ³³ جريس، صبري، تاريخ الصهيونية 2 ج، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ط1، 1977، ج1 ص63.
- ³⁴ بركلي ص92.
- ³⁵ بركلي ص92-93.

- ³⁶ المسيري مج 6 ص 160.
- ³⁷ المسيري مج 6 ص 161.
- ³⁸ الوعري ص 66، 137-138. حبيب الله، علي، كتاب "أزمة مثيرة" فلسطين من نافذة القنصل، متراس، يناير 2021، ص 1.
- ³⁹ شولش ص 80
- ⁴⁰ شولش 62-64. الوعري ص 47، 49، 51.
- ⁴¹ فين 139. الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط 10، 1990، ص 23.
- ⁴² Hyamson p141-142.
- ⁴³ Verite p316.
- ⁴⁴ الوعري ص 139.
- ⁴⁵ شولش ص 65.
- ⁴⁶ فين ص 144.
- ⁴⁷ وهي قوانين أصدرها السلطان عبد المجيد الأول سنة 1839 م ضمن التنظيمات العثمانية. فين ص 41. سرور ص 117.
- ⁴⁸ فين ص 167.
- ⁴⁹ فين ص 748. ينظر: حبيب الله ص 1.
- ⁵⁰ الوعري ص 109، 144-145.
- ⁵¹ فين ص 134، 248، 439، 877. منصور ص 13.
- ⁵² المسيري مج 6 ص 162. الشورة، صالح، أزمة مثيرة وقائع من سجلات القنصلية البريطانية في القدس لجيمس فين، مجلة سطور، مراجعات كتب، ع 9، كانون ثاني 2019، ص 196.
- ⁵³ Hamson p141-142.
- ⁵⁴ منصور ص 21.
- ⁵⁵ فين ص 139-140، 246، 771، 849-851.
- ⁵⁶ فين ص 140. ينظر: الشورة، دور بريطانيا، ص 21.
- ⁵⁷ شولش ص 322
- ⁵⁸ فين ص 158-159.
- ⁵⁹ فين ص 144.
- ⁶⁰ فين ص 147.
- ⁶¹ السير موسى حاييم مونتييفوري هوثري ومالي بريطاني يهودي، زعيم الجماعة اليهودية في إنجلترا، ومن كبار المدافعين عن الحقوق المدنية لليهود في إنجلترا والعالم. المسيري مج 6 ص 177. الشورة، أزمة ص 201.
- ⁶² فين ص 162.
- ⁶³ خيرية قاسمية هي كاتبة ومؤرخة وباحثة فلسطينية راحلة. دوري. ثائر، ماذا فعلت خيرية قاسمية بمذكرات الرعيل العربي الأول، القدس العربي، لندن، 20 أبريل 2022.
- ⁶⁴ محمد بن مصباح المحمصاني: حقوق، من شهداء العرب في عهد الترك، وهو من الأفراد القلائل الذين تنهوا للحركة (الصهيونية) في أيامه. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، د م، ط 15، 2002، ج 7 ص 98.
- ⁶⁵ قاسمية، خيرية، النشاط الصهيوني في الشرق، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، د ط، 1973، ص 9-15.
- ⁶⁶ المسيري مج 6 ص 420-432.
- ⁶⁷ «الإشكناز» من «إشكنازيم» العبرية وهم يهود فرنسا وألمانيا وبولندا، و «إشكناز»، حسب الرواية التوراتية، اسم أحد أحفاد نوح.
- ⁶⁸ المسيري مج 2 ص 125.
- ⁶⁹ يهود السفارديم هم اليهود الشرقيين الذين استقروا حول حوض البحر المتوسط، بينما لليهود الإشكناز هم الذين نزحوا إلى شمال شرق آسيا بعد خراب القدس سنة 70 م واستقروا في روسيا وشرقها وجنوبها وامتزجوا بالغول، ثم نزحوا إلى الغرب. خليل، إبراهيم، إسرائيل والتلمود، مكتبة الوعي العربي، د م، د ط، 1967، ص 99.
- ⁶⁹ نظام الحالوقة أي التوزيع، وشمل الجزء الأكبر من الجماعات اليهودية في فلسطين وكان قد بدأ في القرن الخامس عشر. المسيري مج 4 ص 258. عبد الكريم ص 101.

⁷⁰ Kushner, David, Ali Ekrem Bey, Governor of Jerusalem, 1906-1908, International Journal of Middle East Studies, Volume 28, Issue 3, August 1996, pp. 354.

⁷¹ المسيري مع 4 ص 258.

⁷² الوعري ص 143.

⁷³ الصباغ، محمود، الأركيولوجيا بين العلم والأيدولوجيا، مركز الجرمق للدراسات، د م، د ط، 2021، ص 1.

⁷⁴ منصور ص 16.

⁷⁵ منصور ص 16-17.

⁷⁶ فين ص 152.

⁷⁷ فين ص 151.

⁷⁸ فين ص 501-502، 554، 853-854. ينظر: الشورة، أزمة ص 201.

⁷⁹ الشورة، دور بريطانيا، ص 23. عبد الكريم ص 100.

⁸⁰ العباسي، نظام، بريطانيا وتهويد بيت المقدس، مجلة دراسات بيت المقدس، ع 18، 2018، ص 61.

⁸¹ جريس ج 1 ص 63-64. الوعري ص 142. العباسي ص 61. سرور ص 118.

⁸² الوعري ص 147.

⁸³ جريس ج 1 ص 103. شبيب، سميح، الهجرة والاستيطان في الفكر الصهيوني، مجلة شؤون فلسطينية، ع 248، 2012 ص 90.

⁸⁴ الشورة، دور بريطانيا، ص 24-25.

⁸⁵ نصيرات، فدوى، السلطان عبد الحميد ودوره في تسهيل السيطرة الصهيونية على فلسطين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2014، ص 16. عبد الكريم ص 106.

⁸⁶ Kushner p351-354.

⁸⁷ رضا، محمد رشيد، جمعية الاتحاد والترقي، مجلة المنار، القاهرة، ج 12، يونيو 1909، ص 397.

⁸⁸ Hyamson p141.

⁸⁹ تفكجي، هيثم، سياسة القنصليات الغربية في تكريس الوجود الصهيوني-اليهودي في القدس، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين، 2023، ص 35.

⁹⁰ الفيلق اليهودي هو تشكيلات عسكرية من المتطوعين اليهود الذين حاربوا في صفوف القوات البريطانية والحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى. المسيري مع 7 ص 141.

⁹¹ زئيف جابوتنسكي هو مؤسس الحركة الصهيونية التصحيحية أو التنقيحية بعد انفصاله عن المنظمة الصهيونية. أبو سمرة، محمد، جابوتنسكي والقضية الفلسطينية، مجلة قضايا إسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية مدار، رام الله، د ت، ص 7.

⁹² شبيب ص 95.

⁹³ Al-Atnah, Ghazi, The British Role in Facilitating Jewish Immigration and Settlement in Jerusalem During the Period 1917 to 1930, Asian Culture and History; Vol. 13, No. 2; 2021, P14.

⁹⁴ بنحاس روتنبرغ مهندس روسي بارز ورجل أعمال، إضافة إلى أنه زعيم صهيوني. عيلام، يغال، ألف يهودي في التاريخ الحديث، ترجمة عدنان أبو عامر، مؤسسة فلسطين للثقافة، دمشق، ط 1، 2006، ص 200.

⁹⁵ كرد علي ج 3 ص 222. السنوار، زكريا، الصناعة الصهيونية في فلسطين 1918-1948، مجلة جامعة القدس المفتوحة، ع 38 (2) حزيران 2016، ص 127.